

أساليب تعامل النبي صلى الله عليه وسلم في مقاومة الانحراف

إعداد الدكتور

نـادي عبـدالله محمـد

أستـاذ الحديث الشريف المساعد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

جامعة الأزهر





أساليب تعامل النبي صلى الله عليه وسلم في مقاومة الانحراف

نادي عبدالله محمد

قسم أصول الدين، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: Nadyabdallah673@gmail.com

الملخـــص

يعالج هذا البحث قضية مهمة من قضايا الفكر الدعوي في معالجة الانحرافات، وهي (أساليب تعامل النبي صـــلى الله عليه وســـلم في مقاومة الانحرافات) وهي تحتاج إلى دقة في التعامل معها، حيث تمثل القدوة جانبـًا هامـًا في هذا الموضـــوع، فتعرض البحث لهذا الجانب ودوره في مقاومة الانحراف ومعالجته، وكذلك تعرض البحث لأهمية الرفق والحكمة في معالجة الأخطاء والانحرافات، وتعليم المنحرف، والأخذ بيده إلى الطريق الصـــحيح، ولما كان المنحرف يحتاج أحيانـًا إلى التخويف والعتاب، وكذلك الترغيب والترهيب، تعرض البحث لهذه المســـألة وأثرها في معالجة الانحرافات، ولما كانت بعض النفوس البشـــرية تخرج عن نطاق الفطرة الســـليمة، فإنها تحتاج إلى وســـيلة أقوي، فتعرض البحث لأسلوب الردع وأهميته في التقويم والتربية.

وخلصـــت الدراســـة إلى أهمية هذه المســـألة، وحاجة كل من يتصـــدر الدعوة أن يكون على علم ودراية بهذه الأســـاليب التربوية النبوية، وخاصـــة أن رســـولنا الأكرم صـــلى الله عليه وســـلم هو القدوة في هذا الجانب، لأنه سيد الدعاة، ومعلم الإنسانية، وهو أعلم بما يصلح النفوس.

الكلمات المفتاحية: الانحراف – الترغيب – الترهيب – التقويم – التربية.

Prophet Muhammad's (peace be upon him) Techniques of resisting Deviation

By: Nady Abdallah Mohammed
Department of Osoul Al-Deen
Faculty of Islamic and Arabic Studies for Men in Cairo
Azhar University

Abstract

This research tackles an important issue in the field of Dawa'h; resisting deviation according to the techniques followed by prophet Muhammad (peace be upon him). Such issue is in bad need of precise treatment since setting a good example ahead constitutes an important aspect in tackling this issue. Accordingly، this research discusses this aspect and highlights its role in resisting and tackling deviation. In addition، the research stresses the need for leniency and wisdom in tackling errors، deviations، instructing the deviant person and helping him get back to the right path. As the deviant sometimes needs to be intimidated and rebuked as well as being in need of love and fear، this research has dealt with this issue and its impact upon the treatment of deviations. Moreover، the human psyche gets away from the sphere of its innate nature and that is why it needs a more powerful device to help it regain its sanity. Therefore، this research deals with a deterrent technique and shed light upon its significance as a useful device for assessment and education. In conclusion، this research has emphasized the importance of this issue and those who work in the field of Dawa'h should be knowledgeable of these prophetic pedagogical techniques especially because prophet Muhammad is the best example in this respect for being the first teacher of humanity and he is far knowledgeable of what may reform the human psyche.

Key words: deviation، encouragement، intimidation، assessment، pedagogy.□

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، اعترافـًا بمنته، وشكراً لنعمته، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعترته، والأخيار من ذريته، ربنا نسألك أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد، صلاة تفتح لنا بها أبواب الرضا والتيسير، وتغلق بها أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها وليـًا ونصيراً، إنك نعم المولي ونعم النصير.

أما بعد..

فإن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم كان أنموذجـًا فريداً في التعامل مع المنحرفين، فأحيانـًا نجده صلى الله عليه وسلم يتلطف ويرفق بمن أخطأ، ويأخذه باللين والحكمة، ليأخذ بيده إلي طريق الهدي والرشاد، وينتمي إلي دينه بحب وطمأنينة.

وحين ينظر صلى الله عليه وسلم إلي المنحرف وقد وصل إلي مرحلة شديدة من الهاوية والسقوط، وتجرأ على المعصية، فنجده صلى الله عليه وسلم يستخدم معه أسلوب الحوار والإقناع، مخاطبـًا عقله، ليعود به إلي رُشده وفطرته السوية، وأحيانـًا كان صلى الله عليه وسلم يري من يخاطبه يحتاج إلي الترهيب والتوبيخ والإنذار الشديد، إما لمكانته ومنزلته السامية، فلا يصح أن يأتي منه هذا التصرف، وإما لتخويفه للإقبال على هذا الفعل، وأحيانـًا يستخدم صلى الله عليه وسلم أسلوب التعليم حين يري المنحرف يجهل ما يفعله، وأحيانـًا يستخدم صلى الله عليه وسلم أسلوب الهجر والاعتراض.

لقد كان صلى الله عليه وسلم حريصـًا على أن يزيل كل العقبات التي تواجه المنحرف، ليأخذ بيده إلي طريق الصواب وقد سميت البحث " أساليب التعامل النبي صلى الله عليه وسلم في مقاومة الانحراف".

هذا وقد جاء البحث في مقدمه وتمهيد وثمانية مباحث:

أما التمهيد: فذكرت فيه طبيعة الإنسانية واختلافها حسب النشأة والبيئة من شخص لآخر، وتعريف الانحراف.

المبحث الأول: أسلوب القدوة.

المبحث الثاني: أسلوب الحوار والإقناع.

المبحث الثالث: أسلوب التعليم والرفق.

المبحث الرابع: أسلوب العتاب التوبيخ.

المبحث الخامس: أسلوب الترغيب والترهيب.

المبحث السادس: أسلوب المقاطعة والهجر.

المبحث السابع: أسلوب التعريض.

المبحث الثامن: أسلوب الردع.

ثم الخاتمة .

تمهيد

تختلف طبيعة النفس الإنسانية من شخص لآخر، وذلك بحسب طبيعتها وتكوينها الديني، وحسب البيئة التي نشأت فيها، وكذلك حسب الظواهر البيئية أو المجتمعية التي تتعرض لها.

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن أهميه البيئة والنشأة في تكوين طبيعة الإنسان، وأثرها النفسي والفكري والأخلاقي، فقال صلى الله عليه وسلم:" كلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثل "(١)

وقد كان في هدي النبي صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة في تعامله مع كافة أنماط النفس الإنسانية المختلفة، وأحوالها المتقلبة، ومنه صلى الله عليه وسلم نستقي المنهج القويم، وسبل التعامل مع الانحرافات.

والمتأمل في السنة النبوية المطهرة في تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع الانحرافات، يجد أنه صلى الله عليه وسلم كان غاية في الإعجاب والتأثير.

حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يستخدم أساليب عدة ومتنوعة في التعامل مع الأخطاء، تتناسب مع نوعية الخطأ من جهة، ومع حال الواقع في الخطأ من جهة أخري.

وكان الهدف من هذه الدراسة:

التعرف على أهم أساليب معالجة ومقاومة الانحراف من خلال الحديث النبوي الشريف

المراد بالانحرافات: هو كل سلوك خرج به المسلم عن حد الاعتدال، وهو طريق وسط بين الإفراط والتفريط، قال الله تعالي: "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ،

---

(١) ـ أخرجه البخاري في صحيحه ك: الجنائز باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلي عليه رقم(١٠٠/١ح١٣٨٥)

ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"(١)

وهذا الطريق هو الذي جسده النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأخلاقه وسيرته، وتمثَل بها أصــحابه الكرام، قال تعالي:" مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَــدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَــى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا "(٢)

فمن رغب عن سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وحاد عن طريقته، فقد وقع في الانحراف.

---

(١) سورة الأنعام: ١١٥٣.

(٢) سورة الأحزاب :٢٢٣.

المبحث الأول

أسلوب القدوة الطيبة

القدوة في اللغة: أصل البناء الذي يتشعب منه تصريف الأفعال، يقال: قدوة، لما يقتدى به، والقدوة: الأسوة، يقال: فلان يقتدى به[١].

وتأتي القدوة بمعنى الأصل: فالقدوة: أصل البناء الذي يتشعب منه تعريف الاقتداء[٢].

والتربية بالقدوة لها أثر بالغ في صلاح الأمم، وما أرسل الرسل بشراً إلا ليقتدى بهم، قال الله تعالى " قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولا (سورة الإسراء: ٩٥)

ولا يشك عاقل في أن مجتمعاتنا الإسلامية اليوم تمر بأزمة من أشد الأزمات، وهي حالة الانفلات الأخلاقي والاستخفاف بالقيم والتقاليد الإسلامية.

إن القدوة الصالحة من أعظم الأساليب المعينة على بناء العادات والقيم والسلوكيات الطيبة لدي المجتمع، وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم قدوة للناس، ليرونه في واقع حياتهم، تتمثل فيه هذه القيم فيصدقونها، لأنهم يرونها رأي العين، فتتحرك نفوسهم نحو الخير، اقتداءً به صلى الله عليه وسلم.

وقد حرص الإسلام على القدوة والمثل الأعلى في المجتمعات، ليقتدوا به، ويقتفون أثره، ويحذون حذوه، ويفتح لهم الطريق الذي على نصحهم وتوجيههم وإثارهم.

ولما سئلت أمُنا السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم قالت:" كان خلق النبي صلى الله عليه وسلم القرآن "[٣]

وقد أوضح القرآن الكريم أن رسولنا صلى الله عليه وسلم هو المثل والقدوة والمعلم، قال تعالي:" لَقَدْ

---

(١) ـ لسان العرب (١٥/ ١٧٠) مادة: قدو.

(٢) ـ الصحاح (٩/ ٢٤٤).

(٣) ـ أخرجه مسلم ك: صلاة المسافرين باب جامع صلاة الليل (١٧٧٣)

كَانَ لَكُمْ فِي رَسُوُلِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ "(١)

ومن أعظم الناس قدوة حسنة في حياتنا هم أنبياء الله ــ عليهم السلام ــ حيث أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم، لما كانوا عليه من الخيرية والإحسان والهداية والإصلاح.

حيث قال الله تعالي:" أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ "(٢).

ومن هنا أكدت السـنة النبوية المباركة على دور القدوة الطيبة في أي موقع من المواقع في حياتنا، سـواء في الأسـرة أو في التعليم، أوفي الثقافة، وغيرها، مبينة أن القدوة مسـئولية ينبغي على كل من كان في هذا الموقع أن يراقب تصرفاته وأفعاله وأقواله، لأنه مسئول، ولأن أجيالاً يقتدون به.

فعن عبدالله بن عمر عن النبي صـلى الله عليه وسـلم قال:" ألا كلكم راع وكلكم مسـئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسـئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسـئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته "(٣)

وفي السنة النبوية الكريمة كثير من الأحاديث التي تبين أهمية ومكانة القدوة في حياتنا:

ومن ذلك ما أخرجه البخاري في صـحيحه (٤) من حديث عبدالله بن عمر رضـي الله عنهما قال: اتخذ النبي صـلى الله عليه وسـلم خاتمـًا من ذهب، فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، فقال النبي صـلى الله عليه وسلم: (إني اتخذت خاتمـًا من ذهب). فنبذه، وقال: (إني لن ألبسه أبداً). فنبذ الناس خواتيمهم.

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

(٢) سورة الأنعام: ٩٠.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ك: الإمارة باب فضيله الإمام العادل (٤٨٢٨).

(٤) ك: اعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بأفعال النبي صلي الله عليه وسلم (٦٨٦٨).

قال ابن بطال [١]: فدلَ ذلك على أن الفعل أبلغ من القول.

ولقد لمسنا أثر القدوة الحسنة في حياة الصحابة الكرام الذين اقتدوا بالرسول صلى الله عليه وسلم، وقلدوه في سلوكه فأصبحوا نماذج رائعة للقيم الإنسانية.

وصدق الشاعر حين قال:

هَلْ تَطْلُبُونَ مِنَ الْمُخْتَارِ مُعْجِزَةً ... يَكْفِيهِ شَعْبٌ مِنَ الأَجْدَاثِ أَحْيَاهُ

وما أجمل هذا المثال في بيان أثر القدوة في التربية:

أخرج البخاري في صحيحه [٢] من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: بتُ عند خالتي ميمونة ليلة فنام النبي صلى الله عليه وسلم، فلما كان في بعض الليل، قام الرسول صلى الله عليه وسلم فتوضأ من شن معلق وضوءً خفيفًا، ثم قام يصلي، فقمت فتوضأت نحواً مما توضأ، ثم جئت فقمت عن يساره، فحولني فجعلني عن يمينه، ثم صلى ما شاء الله، ثم اضطجع فنام حتي نفخ، فأتاه المنادي يأذنه بالصلاة، فقام معه إلي الصلاة، فصلي ولم يتوضأ.

وهكذا نري في هذا الحديث الشريف كيف تأثر الطفل، فقام بتقليد ومحاكاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في وضوئه وصلاته، حيث قام فتوضأ على نحو ما رآه من الرسول صلى الله عليه وسلم ثم وقف يصلي.

ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن نجعل لبيوتنا نصيباً من صلاة السنن فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا

(١) ـ فتح الباري (٢٧٥/١٣)

(٢) -أخرجه البخاري في صحيحه ك: الأذان بَابُ وُضُوءِ الصِّبْيَانِ، وَمَتَى يَجِبُ عَلَيْهِمُ الغُسْلُ وَالطُّهُورُ، وَحُضُورِهِمُ الجَمَاعَةَ وَالعِيدَيْنِ وَالجَنَائِزَ، وَصُفُوفِهِمْ (٨٥٩).

تتخذوها قبوراً"[١]

ومن هنا أكد النبي صـلى الله عليه وسـلم على القدوة أن يكون مثالاً يحتذي به، أيـًا كان موقعه وعمله، وأن يوافق قوله فعله، وذلك لأن النفوس جبلت على عدم قبول أقوال وأعمال من يخالف قوله فعله، وعدم التأثر والانتفاع بصنيعه الإيجابي إن وجد.

من هنا حذر القرآن الكريم من كان هذا صـــنيعه، فقال تعالي:" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُون"(سورة المنافقون آية: ٢،٣).

وجاء التحذير الشديد في السنة النبوية لمن يخالف قوله فعله، وبخاصة الذين في موضع القدوة والتأسي بهم فقد أخرج البخاري في صحيحه [٢] من حديث أسامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقي في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلانـًا ما شـأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه".

وهذا أمر لم يغفل عنه السلف الصالح، بل تنبهوا إليه، وأرشدوا إليه المربين، فهذا عمرو بن عتبة يرشد معلم ولده قائلاً: " لِيَكُنْ أَوَّلَ إِصْـلَاحِكَ بُنِيَّ إِصْـلَاحُكَ نَفْسَـكَ فَإِنَّ عُيُوبَهُمْ مَعْقُودَةٌ بِعَيْبِكَ، الْحَسَـنُ عِنْدَهُمْ مَا صَـنَعْتَ وَالْقَبِيحُ عِنْدَهُمْ مَا اسْـتَقْبَحْتَ عَلِّمْهُمْ كِتَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تُمِلَّهُمْ مِنْهُ فَيَتْرُكُوهُ وَلَا تَتْرُكْهُمْ مِنْهُ فَيَهْجُرُوهُ ثُمَّ رُوِّهِمْ مِنَ الْحَدِيثِ أَشْـوَقَهُ وَمِنَ الشِّـعْرِ أَعْمَقَهُ وَلَا تُخْرِجْهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَى غَيْرِهِ حَتَّى يُحْكِمُوهُ فَإِنَّ ازْدِحَامَ الْكَلَامِ فِي السَّـمْعِ مَضَـلَّةٌ لِلْفَهْمِ وَكُنْ لَهُمْ كَالطَّبِيبِ الَّذِي لَا يُعَجِّلُ بِالدَّوَاءِ حَتَّى يَعْلَمَ مَوْضِعَ الدَّاءِ جَنِّبْهُمُ النِّسَاءَ وَاشْغَلْهُمْ بِسِيَرِ الْحُكَمَاءِ فَأَدِّبْهُمْ دُونِي وَلَا تَتَّكِلْ على فَقَدِ اتَّكَلْتُ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ك: صلاة المسافرين باب استحباب صلاة النافلة في البيت (١٨٥٦).

(٢) ك: بدء الخلق باب صفه النار (٣٠٩٤).

عَلَى كِفَايَةٍ مِنْكَ وَاسْتَزِدْنِي بِزِيَادَتِهِمْ أَزِدْكَ"[١]

ولأهمية القدوة في حياة المجتمع، والمحافظة على القيم والمبادئ الإسلامية كان رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم يراقب تصرفات القدوة، ويحذروه من التهاون في تصرفاته:

روي الإمام أحمد[٢] من حديث عبدالله بن عامر أنه قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا وأنا صبي قال: فذهبت أخرج لألعب، فقالت أمي: يا عبدالله تعال أعطك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" وما أردت أن تعطيه"؟ قالت: أعطيه تمراً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما إنك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة".

وفي هذا الهدي النبوي الكريم نجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيَن أن الشخصية القدوة يجب عليها أن تكون صادقة دائمًا، وبخاصة مع الأطفال الصغار، الذين تدفعهم الغريزة الفطرية نحو التقليد والمحاكاة، فهم أكثر تأثراً بالقدوة، حيث يعتقدون أن كل ما يفعله الكبار صحيحًا.

قد يستهين بعض الآباء حين يعدون أبناءهم بمكافأة، إذا قام بعمل ما، ثم لا يحقق ما وعده، وهذا أمر خطير في التربية، وبخاصة حين يقع التصرف من القدوة.

---

(١) ـ أخرجه ابن أبي الدنيا كتاب النفقة على العيال (١/٥١٧ح٣٤١).

(٢) – سنده حسن لغيره: أخرجه أحمد في مسنده(٢/ ٤٤٧ج١٥٧٤) وهذا إسناد ضعيف لإبهام مولى عبد الله بن عامر، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن عجلان، فقد أخرج له مسلم، وأخرجه ابن أبي شيبة ٨/ ٥٩٣، وأبو داود (٤٩٩١)، والبخاري في "التاريخ الكبير" ٥/ ١١، والخرائطي في "مكارم الأخلاق" ص٣٣، والبيهقي في "السنن" ١٠/ ١٩٨، وفي "شعب الإيمان" (٤٨٢٢) من طرق عن ليث بن سعد، بهذا الإسناد.

وأخرجه البيهقي في "السنن" ١٠/ ١٩٨-١٩٩ من طريق يحيى بن أيوب، عن محمد بن عجلان، به، وسمى مولى عبد الله بن عامر زياداً.. وله شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعًا أخرجه أحمد في مسنده (١٥/ ٥٢٠ح٩٨٣٦)، إلا أنه من رواية الزهري عن أبي هريرة، ولم يسمع منه. ولفظه: "من قال لصبي: تعال هاكَ، ثم لم يُعطه فهي كذبة...

أخرج أحمد في مسنده [١] من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال:" إن الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل، ولا أن يعد الرجل ابنه ثم لا ينجز له ".

وعلي القدوة أن يعلم أنه مسئول مسئولية كبيرة، وأنه يتحمل نتيجة ما يقع منه حين يُقتدي به، فعن جرير ابن عبدالله قال: جاء ناس من الأعراب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، عليهم الصوف، فرأي سوء حالهم، قد أصابتهم حاجة، فحث الناس على الصدقة، فأبطئوا عنه حتي رُئ ذلك في وجهه قال: ثم إن رجلاً من الأنصار جاءَ بصرُة من وَرِق، ثم جاء آخر، ثم تتابعوا، حتي عُرف السرور في وجهه صلى الله عليه وسلم فقال: من سن في الإسلام سنة حسنة، فعُمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعُمِل بها يعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء.

وعن موسي بن أعين قال: قال لي الأوزاعي: أيا أبا سعيد كنا نمزح ونضحك، فأما إذا صرنا يُقتدي بنا ما أري يسعنا التبسم "[٢].

ومن المعلوم أن المناهج النظرية التربوية في حاجة دائمة إلي من يطبقها ويعمل بها، وإلا فإنها تصبح لا فائدة منها، ولذلك كان رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم إذا أمر بشيء عمل به أولاً، وإذا أنهي عن شيء كان أول تارك له.

وفي خبر الجُلندى ملك عمان: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن العاص إليه يدعوه إلي الإسلام، فلما قدم عليه عمرو ودعاه إلي الإسلام، قال الجُلندى: والله لقد دلني على صدق هذا النبي

---

(١) ـ موقوف وسنده صحيح: أخرجه أحمد في مسنده (٧/ ١٠ح٣٨٩٦).

(٢) ـ حلية الأولياء (٦/١٤٣) .

أنه لا يأمر بخير إلا كان أول أخذ به، ولا ينهي عن شر إلا كان أول تارك له[١].

وحين يكون القدوة والمربي على هذا القدر من المسئولية، فإنها تؤتى ثمارها الطيبة في المجتمع، ويتأثر أفراده، بمن هم أهل القدوة والتربية، ويستحيون أن يأتوا بأفعال وسلوكيات تخالف قيم المجتمع وتقاليده أمام المربين، لأن القدوة كالمُداوِى.

ونحن في هذا الموضوع نناشد الرعاة والمربين أن يراقبوا تصرفاتهم وسلوكياتهم، فإن الواعظ من الموعوظ بمنزلة المُداوِى من المُداوَى.

قال المناوى: " الواعظ ما لم يكن مع مقاله فعال، لم ينتفع به، إذ عمله مدرك بالبصر، وعمله مدرك بالبصيرة.

وأكثر الناس أهل أبصار لا بصائر، فيجب كون عنايته بإظهار ما يدركه جماعتهم أكثر، ومنزلة الواعظ من الموعوظ كمنزلة المُداوَى، فكما أن الطبيب إذا قال للناس: لا تأكلوا كذا فإنه سم، ثم رأوه يأكله عُدَ سخرية وهزواً، كذا الواعظ إذا أمر بما لم يعمله، ومن ثم قيل: يا طبيب طب نفسك، فالواعظ من الموعوظ يجري مجري الطابع من المطبوع، فكما يستحيل انطباع الطين من الطابع بما ليس منتقشًا فيه، فمحال أن يحصل في نفس الموعوظ ما ليس في نفس الواعظ. قيل: من وعظ بقوله ضاع كلامه، ومن وعظ بفعله نفذت سهامه. قيل: عمل رجل في ألف رجل أبلغ من قول ألف رجل في رجل "[٢].

ولن نخطئ حين نقول: إن كثيراً من الانحرافات الاجتماعية الموجودة في مجتمعاتنا اليوم بسبب فقدان القدوة الطيبة، سواء في البيت أو في المدرسة أو في العمل ......الخ.

ومن هنا كانت تربية القدوة في أمة الإسلام أعلي آلاف المرات من تربية الخطب والمقالات.

---

(١) ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفي (١/ ٤٨٤). وذكره ابن حجر في الإصابة (١/١٧٣) .

(٢)ـ فيض القدير (١/١٠٤) دار الكتب العلمية ـ بيروت

إن جيل الشباب يعاني في هذه الأيام من غياب القدوة، فلا تجد من تقتدي أو تتأسى بهم.

ولأهمية القدوة في حياة البشر، يحاول الأعداء ـ دائمـًا ـ طمس الصور المضيئة في تاريخ الإسلام.

فعلي القدوات والمربين أن يكونوا صــورة مشــرقة في تطبيق أخلاق الإســلام وآدابه، من خلال الأقوال والأفعال والسلوك والتصرفات، لا تنضر القلوب منه، ولا تمله ولا تسأمه، وإنما كل من يراه يحبه، إذا قابل الناس فإنه يقابلهم بالبشر والسرور، مقتديـًا برسولنا الأكرم صلى الله عليه وسلم.

كما قال جرير بن عبدالله:" ما حجبني النبي صــلى الله عليه وســلم منذ أســلمت، ولا رآني إلا تبســم في وجهي"(١).

وهذا هو الاتصال الروحي بين القدوة والمُربي وبين من يقتدون به .

(١) أخرجه البخاري ك: الأدب باب التبسم والضحك رقم ١٥٧٣٥)

المبحث الثاني

أسلوب الحوار والإقناع

لا ينكر أحد أن جيلنا اليوم في حاجة ماسة إلي خطاب دعوي متميز، فأحيانا نجد الخطاب التقليدي لا يجدي، ولا يؤتي ثماره، حين يتعرض أحدنا لجدال مع بعض الشباب الذين قد انحرفوا عن بعض سلوكيات الإسلام وقيمه، فاعتادوا على شرب المسكرات، وارتكاب المحرمات من الزنا....وغيره.

وكثير من هؤلاء لا يقبلون بالدليل ولا يقتنعون به إلا إذا أظهرت لهم الحكمة من ذلك التشريع الإلهي.

من هنا خاطب الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال:" وعظهم وقل لهم في انفسهم قولاً بليغًا" (١).

قال الألوسي(٢): مؤثراً ليرتدعوا، أو كلمهم على مقادير عقولهم، ومتحمل طاقتهم.

وقد كان أسلوب الحوار والإقناع من أساليب الدعوة إلي الله تعالي التي انتهجها رسولنا الأكرم صلى الله عليه وسلم في محاوراته وخطابه، وكان أسلوبًا فعالاً مؤثرا، حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيم الحجة الإقناعية المؤثرة، ويدعو للفكر والتأمل والتدبر فيما يدعو إليه، وبهذا الأسلوب استمال قلوب الناس، وغير مفاهيم خاطئة، اقتنعوا بها.

وقد جاء هذا الأسلوب كثيراً في سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في إقناع واستماله المدعوين، ومن ذلك:

ما أخرجه أحمد في مسنده(٣) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتى شابًا أتى النبي صلى الله

---

(١) ـ سورة النساء آية:٦٣.

(٢) ـ روح المعاني (٥/ ٨٣).

(٣) – رواه أحمد ٥/ ٢٥٦، والطبراني في المعجم الكبير ٨/ ١٦٢، ١٨٣، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٣٦٢ (٥٤١٥)، قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار ١/ ٥٩٢: رواه أحمد بإسناد جيد، ورجاله رجال الصحيح، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٢٩: رجاله رجال الصحيح.

عليه وسـلم فقال : يا رسـول الله ائذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا : ((مه مه)) فقال ((ادنه فدنا منه قريبا)) قال : فجلس قال ((أتحبه لأمك ؟)) قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: ((ولا الناس يحبونه لأمهاتهم)) قال ((أفتحبه لابنتك)) قال: لا والله يا رســول الله جعلني الله فداءك قال ((ولا الناس يحبونه لبناتهم)) قال: ((أفتحبه لأختك)) قال: لا والله جعلني الله فداءك قال ((ولا الناس يحبونه لأخواتهم)) قال: ((أفتحبه لعمتك)) قال: لا والله جعلني الله فداءك قال ((ولا الناس يحبونه لعماتهم))قال: ((أفتحبه لخالتك)) قال: لا والله جعلني الله فداءك قال ((ولا الناس يحبونه لخالاتهم)) قال: فوضــع يده عليه، وقال: ((اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصــن فرجه)) فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

وفي هذا الموقف الذي تجرأ فيه الشاب ليسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا السؤال ويستأذنه في الزنا، نري الصــحابة قد انتفضــوا عند ســماعهم لذلك، وقاموا بزجره، بقولهم " مه ....مه"[1] وهو أسلوب استنكار وتعجب من الحاضرين، ولكن الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم عالج الموقف بطريقة تربوية مختلفة، فلم يعنِّف الشاب، وإنما بيَّن له مفاسد مطلبه، وسوء عاقبته، وقد احتوى هذا الموقف على أسلوبين مهمين في الدعوة إلى الله تعالى: ـ

الأول: أسلوب العاطفة: ـ

فقد تضـمن هذا الموقف الأسـلوب العاطفي في الدعوة والتربية، ويظهر ذلك في حواره صــلى الله عليه وســلم مع الشــاب في قوله " ادنه" ، " فدنا منه قريبًا" ، " فجلس" ، " فوضــع يديه عليه" كل هذه لمسات رفق وحنان من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، سرت في روح الشاب، فأيقظت فيه

---

(١) – مه ...مه: أي اسـكت. قال الجوهري: قال الجوهري: مه: كلمة مبنية على السـكون، وهو اسـم يسـمى به الفعل، ومعناه: اكفف؛ لأنه زجر فإن وصلت نونت تقول: مهٍ مه. "الصحاح (٦/ ٢٢٥٠).

الفطرة السليمة، التي تأبى هذه التصرفات المناقضة لقيم المسلم وإيمانه.

ثم توَّج النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب العاطفي بدعائه للشاب في قوله " اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصِّن فرجه".

وقد كان هذا الأسلوب العاطفي الممتع من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاحًا عظيمًا لإقناع هذا الشاب، وبهذا المفتاح فتح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مغاليق قلوب صدئة لم يكن أحد يتصور أن تفتح بأي مفتاح.

وهذا ما يحتاجه دعاة اليوم من الرفق والإقناع في مخاطبة من يدعوهم إلى الله عز وجل.

الأسلوب الثاني: الحوار العقلي.

كما نلمح في هذا الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحوار العقلي مع هذا الشاب، قد عاد به إلي قضية إيمانية كبرى قد غفل عنها هذا الشاب، وهي في قوله صلى الله عليه وسلم " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[(١)].

حيث قال له " أترضاه لأمك" " لأختك" ....الخ.

ومما يستشهد به في هذا المعني أيضًا من الإقناع العقلي:

قصة الرجل الذي جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يختلجه الشك في زوجته، كما أخرج البخاري في صحيحه[(٢)] بسنده من حديث أَبِى هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلامًا أَسْوَدَ. فَقَالَ :هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ:

---

(١) ـ أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان بَابٌ: مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ (١/ ١٢ح١٣).

(٢) ـــ أخرجه البخاري كتاب المحاربين باب ما جاء في التعريض (٦٨٤٧) ومسلم كتاب الطلاق باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها، وغيرها بوضع الحمل (٢/ ١٣٧ح١٥٠٠).

نَعَمْ. قَالَ :مَا أَلْوَانُهَا؟ قَالَ حُمْرٌ. قَالَ : فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ :فَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ؟ قَالَ: أُرَاهُ عِرْقٌ نَزَعَهُ. قَالَ :فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ.

وقال الكوراني[1]: جاء أعرابي فقال يا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إن امرأتي ولدت غلامًا أسود، هذا موضع الدلالة فإنه عرض بأن الولد ليس منه (هل لك من إبل قال: نعم، قال هل فيها من أورق) قال ابن الأثير: الورقة السمرة في اللون (أراه عرق نزعه) قال الجوهري أي: جذبه إلى أبيه، أي: إلى شبهه أي ربما كان أحد أصوله كذلك، وهذا شيء قاله على قدر عقل الأعرابي، وإلا فالله يخلق ما يشاء يخلق من نطفة الأسود الأبيض وبالعكس، وفقه الحديث أن التعريض لا يوجب حدًّا ولا تعزيرًا.

وانظر إلى عظمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعالج هذا الأمر الخطير بحكمة وحسن تعليم مستخدمًا أسلوب الإقناع العقلي، فقد جاء الرجل مستفتيًا مستنكراً أن يكون له هذا الولد الأسود، الذي جاء على خلاف لونه ولون أمه، فبيَّن له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسلوب عقلي سهل وميسور، وحاوره بهذا المثل المألوف للأعرابي ليقرره بهذا الأسلوب، ويقتنع بما يخبره به.

قال صاحب كتاب الفصول في الأصول[2]: فقايسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورَدَّه غلى أمرٍ كان قد تقرر عنده، من نظير ما سأل عنه، ونبهه على أن يحكم له بحكمه.

---

(١) ـ الكوثر الجاري إلى رياض صحيح البخاري (١٠/ ٣٣٧).

(٢) ـ الفصول في الأصول للجصاص (٤/ ٤٩).

المبحث الثالث

أسلوب التعليم والرفق

إن كثيراً ممن يقع في المخالفات والانحرافات، غالبًا ما يكون بسبب جهله بمعرفة أمور الشرع، وتعاليم الدين، ولذلك كان أسلوب التعليم من أهم أساليب مقاومة الانحرافات في هدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحين يقوم النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم المنحرف لا يقف عند هذا الحد، وإنما يزيده من العلم بالمسألة التي جهل بها، وهذا من محاسن الفتوى والتعليم، أن يوضح للسائل أو الجاهل المسألة التي جهل بها وما يتعلق بها.

وهذا ما حدث في مسألة (كسوف الشمس والقمر) حيث كان يعتقد البعض أن هذا الأمر إنما يقع مشاركة من الطبيعة في موت عظيم من العظماء، وفي عصر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث كسوف للشمس، وكان ذلك يوم وفاة ابنه إبراهيم من مارية القبطية، وقال الناس يومئذ: إن الشمس قد انكسفت لموت إبراهيم حزنـًا عليه، وإكرامـًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولما وقع هذا الانحراف في هذا الفهم الخاطئ لتفسير هذه الحادثة، لم يسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما بيَّن لهم وعلمهم الصواب.

كما روى الإمام أحمد في مسنده(١) من طريق ثَعْلَبَةُ بْنُ عَبَّادٍ الْعَبْدِيُّ، مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، قَالَ: شَهِدْتُ يَوْمًا خُطْبَةً لِسَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ، فَذَكَرَ فِي خُطْبَتِهِ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء فيها: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ رِجَالًا يَزْعُمُونَ أَنَّ كُسُوفَ هَذِهِ الشَّمْسِ، وَكُسُوفَ هَذَا الْقَمَرِ، وَزَوَالَ هَذِهِ النُّجُومِ عَنْ مَطَالِعِهَا لِمَوْتِ رِجَالٍ عُظَمَاءَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَإِنَّهُمْ قَدْ كَذَبُوا، وَلَكِنَّهَا آيَاتٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ يَعْتَبِرُ بِهَا عِبَادُهُ،

---

(١) ـــ سنده ضعيف: أخرجه أحمد في مسنده (٣٣/ ٣٤٦ح٢٠١٧٨) وفي سنده ثعلبة بن عباد العبدي: تابعي مجهول، كما قال الذهبي: (ديوان الضعفاءص٥٨).

فَيَنْظُرُ مَنْ يُحْدِثُ لَهُ مِنْهُمْ تَوْبَةً، وَايْمُ اللهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ قُمْتُ أُصَـلِّي مَا أَنْتُمْ لاقُونَ فِي أَمْرِ دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ، ...".

وبعدما بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم الصواب، نراه قد زادهم بتعليمهم ما الذي يجب عليهم إذا رأوا ذلك، فقال:" فادعوا الله وصلوا ".

كما أخرج البخاري في صـحيحه[1] بسـنده عن المغيرة بن شـعبة قال: انكسـفت الشـمس يوم مات إبراهيم، فقال الناس: انكسـفت لموت إبراهيم، فقال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: "إن الشـمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسـفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموها فادعوا الله وصـلوا حتى ينجلي".

وحين ينضـم الرفق بالمنحرف عند تعليمه وتوجيهه، فإنه يكون أنجح وأصـلح للمخطئ، وتتأكد الحاجة إلى الرفق والرحمة عند وقوع الخطأ غير المتعمد.

أخرج مسلم[2] بسنده عن معاوية بن الحَكم السُّلَمي -رضي الله عنه- قال: بَيْنَا أنا أُصلِّي مع رسول الله -صـلى الله عليه وسـلم-، إذ عَطَس رجُل من القوم، فقلت: يَرْحَمُكَ الله، فَرَمَانِي القوم بأَبْصَـارهم، فقلت: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ[3]، ما شَـأْنُكُم تنظرون إليَّ؟، فجعلوا يضـربون بأيْدِيهم على أفْخَاذِهم، فلما رأيتهم يُصَمِّتُونَنِي لكنِّي سَكَتُّ، فلما صلَّى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فَبِأَبِي هو وأمِّي، ما رأيت معَلِّما

(١) ــ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، (٨٣٦)

(٢) ـ كتاب المساجد باب تحريم الكلام في الصلاة (١/ ٣٨١ح٥٣٧).

(٣) ــ قَوْلُهُ وَاثُكْلَ أُمِّيَاهُ الثُّكْلُ بِضَمِّ الثَّاءِ وَإِسْكَانِ الْكَافِ وَبِفَتْحِهِمَا جَمِيعًا لُغَتَانِ كَالْبُخْلِ وَالْبَخَلِ حَكَاهُمَا الْجَوْهَرِيُّ وَغَيْرُهُ وَهُوَ فِقْدَانُ الْمَرْأَةِ وَلَدَهَا وَامْرَأَةٌ ثَكْلَى وَثَاكِلٌ وَثَكِلَتْهُ أُمُّهُ بِكَسْرِ الْكَافِ وَأَثْكَلَهُ اللهُ تَعَالَى أُمَّهُ وَقَوْلُهُ أُمِّيَاهُ هُوَ بِكَسْرِ الْمِيمِ .شرح النووي (٥/ ٢٠).

قَبْلَه ولا بَعده أحْسَــن تَعليما منه، فوالله، ما كَهَرَنِي وَلَا ضَــرَبني وَلَا شَــتَمَنِي، قال: «إن هذه الصــلاة لا يَصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التَّسبيح والتَّكبير وقراءة القرآن».

قال النووي"[١]: فِيهِ بَيَانُ مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُـولُ اللهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ مِنْ عَظِيمِ الْخُلُقِ الَّذِي شَـهِدَ اللهُ تَعَالَى لَهُ بِهِ وَرِفْقِهِ بِالْجَاهِلِ وَرَأْفَتِهِ بِأُمَّتِهِ وَشَــفَقَتِهِ عَلَيْهِمْ وَفِيهِ التَّخَلُّقُ بِخُلُقِهِ صَــلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ فِي الرِّفْقِ بِالْجَاهِلِ وَحُسْــنِ تَعْلِيمِهِ وَاللُّطْفِ بِهِ وَتَقْرِيبِ الصَّــوَابِ إِلَى فَهْمِهِ، قَوْلُهُ (فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي) أَيْ: مَا انْتَهَرَنِي. قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ القرآن) فِيهِ تَحْرِيمُ الْكَلَامِ فِي الصَّـلَاةِ سَوَاءٌ كَانَ لِحَاجَةٍ أَوْ غَيْرِهَا وَسَوَاءٌ كَانَ لِمَصْـلَحَةِ الصَّـلَاةِ أَوْ غَيْرِهَا فَإِنِ احْتَاجَ إِلَى تَنْبِيهٍ أَوْ إِذْنٍ لِدَاخِلٍ وَنَحْوِهِ سَبَّحَ إِنْ كَانَ رَجُلًا وَصَـفَّقَتْ إِنْ كَانَتِ امْرَأَةً هَذَا مَذْهَبُنَا وَمَذْهَبُ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَالْجُمْهُورِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ.

ومن الدروس النبوية المؤصــلة لمنهج التعامل بالرفق واللين مع الجاهلين والمتعلمين: ما أخرجه مسـلم في صـحيحه عن أنس بن مالك قال: بينما نحن في المسـجد مع رسـول الله إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المســجد، فقال أصــحاب رســول الله : مَه مَهْ[٢]، قال: قال رســول الله : لا تزرموه[٣]، دعوه ، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله دعاه فقال لــه: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصــلاة وقراءة القرآن، أو كما قال رســول الله .قال: فأمر رجلاً من القوم

(١) ـ شرح صحيح مسلم، للنووي (٥/ ٢٠).

(٢) – مه: كلمة زجر، وهو اسم مبني على السكون، معناه: اسكت. وقيل: أصلها: ما هذا؟ انظر: شرح النووي، ٣/ ١٩٣.

(٣) ـ لا تزرموه: أي لا تقطعوا عليه بوله. والإزرام: القطع. انظر: المرجع السابق، ٣/ ١٩٠.

فجاء بدلو من ماء فشنّه[١] عليه[٢]

وقد ثبت في البخاري أن هذا الرجل هو الذي قال: اللَّهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً، فعن أبي هريرة رضـــي الله عنه قال: قام رســـول الله وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصــلاة: اللَّهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً، فلما سلم النبي ﷺ قال للأعرابي: ((لقد حجرت واسعًا)) يريد رحمة الله[٣]..

روى الإمام مسلم عن عائشة -رضـي الله عنها- أن رسـول الله ﷺ قال: " إن الله يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف"[٤].

قال ابن حجر -رحمه الله- في كتاب الأدب من صحيح البخاري شارحـًا هذا الحديث: "يعني أن الرفق يتأتى معه من الأمور ما لا يتأتى مع ضـــده، تأتيك بالرفق أشـــياء، وتنفتح لك مغاليق أمور لا تنفتح لك بغير الرفق مطلقـًا"[٥].

ولذلك قال الشاعر:

مـن يسـتـعـن بـالـرفـق في أمـره   قـد يـخـرج الـحـيـة مـن جـحـرهـا[٦]

---

(١) ـ شنه: أي صبه عليه. انظر: المرجع السابق، ٣/ ١٩٣.

(٢). أخرجه مسلم بلفظه في كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى حفرها، ١/ ٢٣٦، (رقم ٢٨٥)، والبخاري مع الفتح، بمعناه مختصـــراً في كتاب الوضوء، باب ترك النبي والناس الأعرابي حتى فرغ من بوله في المسجد، ١/ ٣٢٢، (رقم ٢١٩)، وروايات بول الأعرابي في البخاري في عدة مواضع، ١/ ٢٢٣، ١٠/ ٤٤٩، ١٠/ ٥٢٥.

(٣) ـ البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ١٠/ ٤٣٨، (رقم ٦٠١٠).

(٤) ـ أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة باب فضل الرفق (٤/ ٣ح٢٥٩٣).

(٥) ـ فتح الباري (١٠/ ٤٤٩).

(٦) ـ [الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ١/ ٢٠٩

ولـذلـك كـان الرســول ﷺ رفيقــًا بمن يعلمهم، روي البخـاري ومســلم من حـديـث مَـالِـكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ، قَالَ: أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيمًا رَقِيقًا، فَظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، فَسَأَلَنَا عَنْ مَنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، فَقَالَ: " ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ، وَمُرُوهُمْ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ"(١)

هذا فيه شفقة النبي صلى الله عليه وسلم ورحمته لطلاب العلم.

(١) ـ أخرجه البخاري ك: الأدب باب رحمة الناس والبهائم (٨/ ٩ح٦٠٠٨) ومسلم ك: المساجد ومواضع الصلاة باب من أحق بالإمامة (١/ ١٦٥ح٦٧٤).

المبحث الرابع

أسلوب العتاب والتوبيخ

فقد كان صـــلى الله عليه وســـلم يري من يخاطبه يحتاج إلي الترهيب والتوبيخ والإنذار الشـــديد، إما لمكانته ومنزلته السامية، فلا يصح أن يأتي منه هذا التصرف، وإما لتخويفه للإقبال على هذا الفعل:

ومن الأمثلة التطبيقية قي السنة النبوية على هذا الأسلوب في مقاومة الانحراف

ما رواه الإمام البخاري[١] بســـنده من حديث أَبِى ذَرٍّ قالَ: رَأَيْتُ عَلَيْهِ بُرْدًا وَعَلَى غُلاَمِهِ بُرْدًا، فَقُلْتُ لَوْ أَخَذْتَ هَذَا فَلَبِسْـــتَهُ كَانَتْ حُلَّةً وَأَعْطَيْتَهُ ثَوْبًا آخَرَ فَقَالَ كَانَ بَيْنِى وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلاَمٌ وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً فَنِلْتُ مِنْهَا فَذَكَرَنِى إِلَى النَّبِيِّ -صَـــلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ- فَقَالَ لِى: «أَسَـــابَبْتَ فُلاَنًا»؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ»؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قالَ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ» قُلْتُ: عَلَى حِينِ سَـاعَتِى هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّـنِّ قَالَ: «نَعَمْ هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ جَعَلَ اللهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ يُكَلِّفُهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ».

وفي هذا الحديث يظهر أســـلوب التربية ومقاومة الانحراف من هذا الصـــحابي الجليل وهو ذو مكانة رفيعة لا ينبغي أن يصدر منه هذا التصرف، فما كان من النبي – صلى الله عليه وسلم – إلا أن يقوم بعذل أبي ذر رضـــي الله عنه وتأديبه باللوم والتأنيب، بقوله: "إنك امرؤ فيك جاهلية"؛ لأجل مقالته للرجل، وتعييره إياه بأمه، فدل ذلك على جواز مثل هذا النوع من التأديب.

قال ابن حجر: "وإنما وبَّخه بذلك – على عظيم منـــــزلته عنده – تحذيرًا له عن معاودة مثل ذلك؛ لأنه وإن كان معذورًا بوجه من وجوه العذر، لكن وقوع ذلك من مثله يستعظم أكثر ممن هو دونه"[٢].

---

(١) ـ أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب ما ينهى من السباب واللعن (٨/ ١٦ح٦٠٥٠).

(٢) ـ فتح الباري (١/ ٨٥).

وقد اعتذر الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ عما بدر من أبي ذر في هذا الموقف فقال: "ويظهر لي أن ذلك كان من أبي ذرٍ قبل أن يعرف تحريمه، فكانت تلك الخصلة من خصال الجاهلية باقية عنده، فلهذا قال ـــ كما عند المؤلف في الأدب"(١) قلت: على ساعتي هذه من كبر السن؟ قال: نعم"، كأنه يتعجب من خفاء ذلك عليه مع كبر سنه، فبيَّن له كون هذه الخصلة مذمومة شرعًا، وكان بعد ذلك يساوي غلامه في الملبوس وغيره، أخذًا بالأحوط"(٢) ا.هـ

وقد عاتب النبي صلى الله عليه وسلم الصحابي الجليل معاذ بن جبل ـ وهو أفقه هذه الأمة ـ حين صلى بالناس فأطال في الصلاة، وشكاه الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخرج البخاري(٣) بسنده عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كَانَ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَأْتِي قَوْمَهُ فَيُصَلِّي بِهِمُ الصَّلاَةَ، فَقَرَأَ بِهِمُ البَقَرَةَ، قَالَ: فَتَجَوَّزَ رَجُلٌ فَصَلَّى صَلاَةً خَفِيفَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا، فَقَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلَ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا قَوْمٌ نَعْمَلُ بِأَيْدِينَا، وَنَسْقِي بِنَوَاضِحِنَا، وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى بِنَا البَارِحَةَ، فَقَرَأَ البَقَرَةَ، فَتَجَوَّزْتُ، فَزَعَمَ أَنِّي مُنَافِقٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا مُعَاذُ،أَفَتَّانٌ أَنْتَ - ثَلاَثًا - اقْرَأْ: وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى وَنَحْوَهَا. "

قال ابن القيم(٤):وقد ظهر بهذا أن التعمق والتنطع والتشديد الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخالف لهديه وهدي أصحابه وما كانوا عليه وأن موافقته فيما فعله هو وخلفاؤه من بعده

(١) ـ صحيح البخاري ك: الأدب باب ما ينهى عن السباب واللعان (٨/ ١٦ح٦٠٥٠).

(٢) فتح الباري (١/ ٨٧).

(٣) ـ أخرجه البخاري في صحيحه ك: الأدب باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولا أو جاهلا (٨/ ٢٦).

(٤) ـ الصلاة وأحكام تاركها ص١٠٨ـ١٠٩.

هو محض المتابعة وإن أباها وجهلها من جهلها، فالتعمق والتنطع مخالفة ما جاء به وتجاوزه والغلو فيه ومقابلة إضاعته والتفريط فيه والتقصير عنه وهما خطأ وضلالة وانحراف عن الصراط المستقيم والمنهج القويم، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والجافي عنه.

وقد قال على بن أبي طالب كرم الله وجهه: خير الناس النمط الأوسط الذي يرجع إليهم الغالي ويلحق بهم التالي[1].

وقال بعض السلف: دين الله بين الغالي فيه والجافي عنه، وقد مدح تعالى أهل التوسط بين الطرفين المنحرفين في غير موضع من كتابه، فقال تعالى: " وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاما"[2]، وقال تعالى: "وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً"[3]، وقال: "وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرا"[4].

فمنع ذي القربى والمسكين وابن السبيل حقهم انحراف في جانب الإمساك، والتبذير انحراف في جانب البذل، ورضاء الله فيما بينهما، ولهذا كانت هذه الأمة أوسط الأمم وقبلتها أوسط القبل بين القبلتين المنحرفتين، والوسط دائما محمي الأطراف، أما الأطراف فالخلل إليها أسرع كما قال الشاعر:

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى أصبحت طرفا

فقد اتفق شرع الرب تعالى وقدره على أن خيار الأمور أوساطها[5].

ومن الأمثلة التطبيقية لهذا الأسلوب عتاب النبي صلى الله عليه وسلم الشديد لأسامة بن زيد حين قتل

---

(١) ـ موقوف: أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ك: الزهد كلام علي بن أبي طالب (١٠٠:٧ح٣٤٤٩٨) وسنده صحيح.

(٢) ـ سورة الفرقان آية:٦٧

(٣) ـ سورة الإسراء آية: ٢٩

(٤) ـ سورة الإسراء آية:٢٦

(٥) ـ الصلاة وأحكامها ص١٠٩

الرجل بعدما قال (لا إله إلا الله) كما أخرج مسلم[١] بسنده عن أسامة بن زيد قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ[٢] مِنْ جُهَيْنَةَ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَقَتَلْتَهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ، قَالَ: أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا على حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ، قَال: فقال سَعْدٌ: وَأَنَا وَاللهِ لَا أَقْتُلُ مُسْلِمًا حَتَّى يَقْتُلَهُ ذُو الْبُطَيْنِ يَعْنِي أُسَامَةَ، قَالَ: فقال رَجُلٌ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ " وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ" (سورة الأنفال: ٣٩)؟ فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ قَاتَلْنَا حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَأَنْتَ وَأَصْحَابُكَ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ.

والحديث فيه زجر شديد وتحذير من الإقدام على قتل من تلفظ بالتوحيد وتحذير صريح من تجاوز الظاهر والحكم على ما في القلب دون بينة.

قال النووي[٣] ــ رحمه الله ــ : ومعناه أنك إنما كلفت بالعمل بالظاهر وما ينطق به اللسان ، وأما القلب فليس لك طريق إلى معرفة ما فيه ، فأنكر عليه امتناعه من العمل بما ظهر باللسان. وقال: أفلا شققت عن قلبه لتنظر هل قالها القلب واعتقدها وكانت فيه أم لم تكن فيه بل جرت على اللسان فحسب يعني وأنت لست بقادر على هذا فاقتصر على اللسان فحسب، يعني ولا تطلب غيره. وقوله صلى الله عليه وسلم: (أفلا شققت عن قلبه) (وفيه دليل على القاعدة المعروفة في الفقه والأصول أن الأحكام فيها بالظاهر والله يتولى السرائر.

---

(١) ـ أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله (١/ ٩٦ح١٥٨).

(٢) ــ «الحرقات» : اسْم قَبيلَة من جُهَيْنَة، وَجَمعهَا عَلَى لفظ «الحرقات» إِشَارَة إِلَى بطُون تِلْكَ الْقَبِيلَة، وهما فِي الأَصْل حرقان ابْنا قيس بن تغلب تَمِيم وَسعد. البدر المنير (٨/ ٥٧٢).

(٣) ـ شرح النووي (٢/ ١٠٤)

المبحث الخامس

أسلوب الترغيب والترهيب

إن الإنسان قد يدعوه هوى أو غفلة إلى الانحراف عن طريق الله المستقيم من ترك خير أو ارتكاب شر دون معاندة للحق أو جحودٍ له، فإنه في هذه الحالة يحتاج إلى العظة بالترغيب والترهيب.

قال ابن القيم[١]:" إنما يشتد افتقار العبد إلى العظة وهي الترغيب والترهيب إذا ضعفت إنابته وتذكره، وإلا فمتى قويت إنابته وتذكره لم تشـــتد حاجته إلى التذكر والترغيب والترهيب، ولكن تكون الحاجة منه شديدة إلى معرفة الأمر والنهي".

وهذا أسلوب نجده واضحًا في السنة النبوية المطهرة، وقد صنَّف علماؤنا ــ رحمهم الله ــ كتبًا كثيرة احتوت على نصوص عديدة من السنة الكريمة تتضمن أسلوب الترغيب والترهيب[٢].

وحين استعمل النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب إنما يريد تقويم الإنسان وتوجيهه وإرشاده إلى السلوك الذي تصلح به حياته الدنيوية والأخروية، وليصحح الإنسان مسار حياته، كما أن هذا الأسلوب فيه زجر للإنسان عن السلوكيات الخاطئة، والانحرافات السيئة، في ضوء ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من وعيد شديد، وعذاب يرتقب المخالفين والمنحرفين والمقصرين، وهذا أسلوب تربوي له أثره البالغ في استقامة المخاطبين، ووضعهم على طريق الجادة والصواب.

كما أن أسلوب الترغيب فيه حض وحث للمخاطبين على فعل الخير، رغبة في ثوابه، وطلبًا لرضا الله عز وجل.

ومما لا شك فيه أن أسلوب الترغيب والترهيب يشكلان معًا حافزاً قويًا للإقبال على كل ما هو نافع،

---

(١) ـ مدارج السالكين (١/ ٤٤٤)

(٢) ـ ومن أمثلة هذه الكتب: كتاب الترغيب والترهيب للمنذري.

والانكفاف عن كل ما هو ضار.

وكتب السنة النبوية المطهرة زاخرة بهذه الأمثلة، ومن هذه الأمثلة في مقام الترهيب:

ما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ثَلَاثٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنَ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ لَهُ بِاللهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ »(١).

قال الإمام النووي(٢): (وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ فِي الرِّوَايَةِ الْأَخِيرَةِ فَمِنْهُمْ رَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ الْمَاءِ مِنَ ابن السَّبِيلِ الْمُحْتَاجِ وَلَا شَكَّ فِي غِلَظِ تَحْرِيمِ مَا فَعَلَ وَشِدَّةِ قُبْحِهِ فَإِذَا كَانَ مَنْ يَمْنَعُ فَضْلَ الْمَاءِ الْمَاشِيَةَ عَاصِيًا فَكَيْفَ بِمَنْ يَمْنَعُهُ الْآدَمِيَّ الْمُحْتَرَمَ فَإِنَّ الْكَلَامَ فِيهِ فَلَوْ كان بن السَّبِيلِ غَيْرَ مُحْتَرَمٍ كَالْحَرْبِيِّ وَالْمُرْتَدِّ لَمْ يَجِبْ بَذْلُ الْمَاءِ لَهُ وَأَمَّا الْحَالِفُ كَاذِبًا بَعْدَ الْعَصْرِ فَمُسْتَحِقٌّ هَذَا الْوَعِيدَ وَخَصَّ مَا بَعْدَ الْعَصْرِ لِشَرَفِهِ بِسَبَبِ اجْتِمَاعِ مَلَائِكَةِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَأَمَّا مُبَايِعُ الْإِمَامِ عَلَى الْوَجْهِ المذكور، فَمُسْتَحِقٌّ هَذَا الْوَعِيدَ لِغِشِّهِ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامِهِمْ وَتَسَبُّبِهِ إِلَى الْفِتَنِ بَيْنَهُمْ بِنَكْثِهِ بَيْعَتَهُ لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ مِمَّنْ يُقْتَدَى بِهِ وَاللهُ أَعْلَمُ) انتهي.

إن هذه السلوكيات الخاطئة – التي يذكرها الحديث – والتي قد نجد كثيراً من أفراد المجتمع المسلم من يفعلها ويجترئ عليها، ويتعود على تكرارها، لا شك أنها تزلزل المجتمع المسلم، وتعمل على فقده قيم الخير وفضائل الأعمال التي يدعونا إليها ديننا الحنيف، فكان لا بد من زجر شديد ووعيد

(١) ــ مسلم ك: الإيمان باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم (١/ ١٠٣ح١٧٣)

(٢) ـ شرح النووي على مسلم (٢/ ١١٧ـ١١٨).

مخيف، يوقظ قلب هذا المجترئ الجاني، يجعله أمام خيارين لا ثالث لهما: إما الحرمان من نظر الله تعالى إليه ورحمته ومغفرته، وإما ترك هذا العمل المشين المخل بالمروءة والسلوك الصحيح.

إن اتباع أســـلوب الموعظة الحســـنة والترفق في مقاومة الانحراف مع أمثال هؤلاء الذين فقدوا القيم الفاضـــلة والأخلاق الحميدة لا تجدي نفعًا معهم، لأن بذل الماء والوفاء بالعهد والصـــدق من شـــيم النفوس الســـوية، ولأن من فعل مثل فعلهم فإنما فعله بدافع اللؤم وســـقوط المروءة، فكان لابد له من هزة عنيفة قوية، وطرقة شـــديدة لعلها توقظ قلبه الغافل، وتنشـــله من حمأة اللؤم والأنانية إلى الســـلوك الصحيح القويم.

ومن الأمثلة التطبيقية للسنة النبوية في مقام الترغيب:

لما كان عقوق الوالدين وقطيعة الرحم كبيرة من الكبائر، وقد اســـتهان بها كثير من شـــبابنا وأبنائنا، فإن السنة النبوية الكريمة في سبيل مقاومة هذا الانحراف جاءت بأساليب عديدة منها الترهيب والتخويف من قطيعة الأرحام، ومنها الترغيب والتحفيز في بر الوالدين والإحســـان إليهم وصـــلة الأرحام عمومـًا، ومن هذة الأحاديث:

حديثٍ أبي أيوب – رضِـــي الله عنه – أنَّ أعرابيًّا عرَض لرســـول الله – صـــلَّى الله عليه وســـلَّم – وهو في ســـفرٍ، فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ثم قال: يا رســـول الله، أو: يا محمَّد، أخبرني بما يُقرِّبني من الجنَّة ويُباعِدني من النار، قال: فكفَّ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم –، ثم نظَر في أصحابه ثم قال: ((لقد وُفِّقَ أو هُدِي))، قال: فكيف قلت؟ قال: فأعادَها، فقال النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((تعبد الله لا تُشرِك به شيئًا، وتُقيم الصَّلاة، وتُؤتي الزَّكاة، وتصلُ الرَّحِمَ دع الناقة)) ، وفي رواية: ((وتصل ذا رحمك))، فلمَّا أدبر قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((إنْ تمسَّكَ بما أمرته به دخَل الجنَّة)) [(١)].

---

(١) ـ أخرجه مسلم في صحيحه ك: الإيمان باب بيان الغيمان الذي يدخل به الجنة (١/ ٤٢ح١٣/ ١٤).

فقد أوضح نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن صلة الأرحام من أسباب دخول الجنة.

وترغيباً في صلة الأرحام أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها تزيد في رزق الإنسان وفي عمره:

أخرج البخاري ومسلم[١] بسنديهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: ((من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له فيأثره فليصل رحمه)).

والمعني: ((ينسأ له في أثره: أي يؤخر له في أجله، وبسط الرزق: توسيعه وكثرته، وقيل: البركة فيه. وأما التأخير في الأجل، فقيل: هذه الزيادة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات، وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة، وصيانتها عن الضياع في غير ذلك، ورجحه النووي. وقيل: إن التأجيل في العمر بالنسبة لما يظهر للملائكة وفي اللوح المحفوظ، ونحو ذلك، فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة، إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون، وقد علم الله عز وجل ما سيقع من ذلك وهو من معنى قوله تعالى: {يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} فيه النسبة إلى علم الله تعالى وما سبق به قدره، ولا زيادة بل هي مستحيلة، وبالنسبة لما ظهر للمخلوقين تتصور الزيادة، وهو مراد الحديث. وقيل: إن المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يمت، حكاه القاضي، وهو ضعيف أو باطل والله أعلم))[٢].

(١) ـ البخاري، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم (٧/ ٩٦) برقم ٥٩٨٦ ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (٤/ ١٩٨٢) برقم ٢٥٥٧

(٢) ـ انظر شرح النووي على مسلم (١٦/ ٣٥٠).

المبحث السادس

المقاطعة والهجر

المقاطعة والهجر أسلوب ناجح لرد المخطئين إلى جادة الصواب، وقد استخدمه رسولنا صلى الله عليه وسلم مع أصحابه الكرام كنوع من أنواع التأديب والزجر، وقد أثمر هذا اللون من التأديب ثمرته المباركة.

ويتمثل هذا النوع من الأسلوب واضحًا في قصة الثَّلَاثَة الَّذين تخلفوا عَن غَزْوَة تَبُوك وهم كَعْب بن مَالك، وهلال بن أُميَّة، ومرارة بن الرّبيع، وَلم يكن لَهُم عذر، فَنهى النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم عَن كَلَامهم يقُول كَعْب رَضِي الله عَنهُ: فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ، فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاَةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهْوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلاَمِ على أَمْ لاَ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاَتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ على ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهْوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا رَدَّ على السَّلاَمَ، فَقُلْتُ يَا أَبَا قَتَادَةَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ. فَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَفَاضَتْ عَيْنَايَ وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ، قَالَ فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ[1] مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ

(١) ــ قال ابن حجر: قَوْلُهُ إِذَا نَبَطِيٌّ بِفَتْحِ النُّونِ وَالْمُوَحَّدَةِ قَوْلُهُ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ نِسْبَةٌ إِلَى اسْتِنْبَاطِ الْمَاءِ وَاسْتِخْرَاجِهِ وَهَؤُلَاءِ كَانُوا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَهْلَ الْفِلَاحَةِ وَهَذَا النَّبَطِيُّ الشَّامِيُّ كَانَ نَصْرَانِيًّا كَمَا وَقَعَ فِي رِوَايَةِ معْمَرٍ إِذَا نَصْرَانِيٌّ جَاءَ

يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ(١)، فَإِذَا فِيهِ أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلاَ مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ. فَقُلْتُ: لَمَّا قَرَأْتُهَا وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلاَءِ. فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا(٢)، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ(٣)، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا، أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لاَ، بَلِ اعْتَزِلْهَا وَلاَ تَقْرَبْهَا. وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لاِمْرَأَتِي الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِي هَذَا الأَمْرِ؛ قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَت امْرَأَةُ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ (٤) – رَضِيَ اللهُ عَنهُ – رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هِلاَلَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ

بِطَعَامٍ لَهُ يَبِيعُهُ وَلَمْ أَقِفْ عَلَى اسْمِ هَذَا النَّصْرَانِيِّ وَيُقَالُ إِنَّ النَّبَطَ يُنْسَبُونَ إِلَى نَبَطِ بْنِ هَانِبَ بْنِ أُمَيْمِ بْنِ لَاوِذَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ. فتح الباري (٨/ ١٢١).

(١) ـــ قَوْلُهُ مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ بِفَتْحِ الْمُعْجَمَةِ وَسِينٍ مُهْمَلَةٍ ثَقِيلَةٍ هُوَ جبلة بن الْأَيْهَم جزم بذلك بن عَائِذٍ وَعِنْدَ الْوَاقِدِيِّ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي شَمِرٍ وَيُقَال جبلة بن الايهم وَفِي رِوَايَة بن مَرْدَوْيهِ فَكَتَبَ إِلَيَّ كِتَابًا فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ . فتح الباري (١٢٢/٨).

(٢) ـــ قال ابن حجر: وَدَلَّ صَنِيعُ كَعْبٍ هَذَا عَلَى قُوَّةِ إِيمَانِهِ وَمَحَبَّتِهِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَإِلَّا فَمَنْ صَارَ فِي مِثْلِ حَالِهِ مِنَ الْهَجْرِ وَالْإِعْرَاضِ قَدْ يَضْعُفُ عَنِ احْتِمَالِ ذَلِكَ وَتَحْمِلُهُ الرَّغْبَةُ فِي الْجَاهِ وَالْمَالِ عَلَى هِجْرَانِ مَنْ هَجَرَهُ وَلَا سِيَّمَا مَعَ أَمْنِهِ مِنَ الْمَلِكِ الَّذِي اسْتَدْعَاهُ إِلَيْهِ أَنه لايكرهه عَلَى فِرَاقِ دِينِهِ لَكِنْ لَمَّا احْتُمِلَ عِنْدَهُ أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ مِنَ الِافْتِتَانِ حَسَمَ الْمَادَّةَ وَأَحْرَقَ الْكِتَابَ وَمَنَعَ الْجَوَابَ هَذَا مَعَ كَوْنِهِ مِنَ الشُّعَرَاءِ الَّذِينَ طُبِعَتْ نُفُوسُهُمْ عَلَى الرَّغْبَةِ وَلَا سِيَّمَا بَعْدَ الِاسْتِدْعَاءِ وَالْحَثِّ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْمَقْصُودِ مِنَ الْجَاهِ وَالْمَالِ وَلَا سِيَّمَا وَالَّذِي اسْتَدْعَاهُ قَرِيبُهُ وَنَسِيبُهُ وَمَعَ ذَلِكَ فَغَلَبَ عَلَيْهِ دِينُهُ وَقَوِيَ عِنْدَهُ يَقِينُهُ . فتح الباري (٨/ ١٢٢).

(٣) ـــ هي عُمَيْرَةُ بِنْتُ جُبَيْرِ بْنِ صَخْرِ بْنِ أُمَيَّةَ الْأَنْصَارِيَّةُ أُمُّ أَوْلَادِهِ الثَّلَاثَةِ عَبْدِ اللهِ وَعُبَيْدِ اللهِ وَمَعْبَدٍ وَيُقَالُ اسْمُ امْرَأَتِهِ الَّتِي كَانَتْ يَوْمَئِذٍ عِنْدَهُ خَيْرَةُ بِالْمُعْجَمَةِ الْمَفْتُوحَةِ ثُمَّ التَّحْتَانِيَّةِ.فتح الباري (١٢٢/٨).

(٤) ـ هي خَوْلَةُ بِنْتُ عَاصِمٍ. فتح الباري (٨/ ١٢٢).

أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: لاَ ، وَلَكِنْ لاَ يَقْرَبْكِ، قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا. فَقَالَ: لي بَعْضُ أَهْلِي لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لاِمْرَأَةِ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لاَ أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ، فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينِ نَهَى رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَنْ كَلاَمِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلاَةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ، قَدْ ضَاقَتْ على نَفْسِي، وَضَاقَتْ على الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ، أَبْشِرْ. قَالَ فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاَةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفى عَلَى الْجَبَلِ وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ، وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ. قال كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلاَ أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَهْوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ "أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ"، قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟ قَالَ : لاَ، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ

بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِ اللهِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لاَ أُحَدِّثَ إِلاَّ صِدْقًا مَا بَقِيتُ، فَوَاللهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلاَهُ اللهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلاَنِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُ فِيمَا بَقِيتُ، وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: " لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ" إِلَى قَوْلِهِ" وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ" (١).

وهذه قصة مليئة بالدروس والعبر، وتُظهر مدي فاعلية هذا الأسلوب في التربية والتأديب، فقد استطاع النبي صلى الله عليه وسلم بحكمته وأسلوبه أن يجعل هؤلاء الصحابة الذين أخطأوا حين تخلفوا عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدون عذر أن يجعلهم في سجن دون أن يسجنهم، وذلك حين عزلهم عن المجتمع، فلم يتعاملوا معهم، حتى ضاقت عليهم الأرض على سعتها واتساعها، بل ضاقت عليهم أنفسهم، ولم يكن هذا التصرف من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع هؤلاء الصحابة انتقامًا منهم، ولا بغضـًا أو كراهية لهم، وإنما هو نوع من التربية والتأديب، ولذلك حين نزلت الآيات بقبول توبتهم فرح رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الفرح، وأقبل عليهم والسرور يملأ وجهه قائلاً له : " أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك"، وتسابق الصحابة الكرام في تبشيرهم، ودخلوا في المجتمع من جديد، ولم تتنكر لهم قلوب الصحابة الكرام.

(١) ــــ أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب: حديث كعب بن مالك وقول الله– تعالى ــــ (وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ) (فتح٨/ ٤٥٢ برقم:٤٤١٨) ومسلم في كتاب التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (٤/ ٢١٢٠) برقم:٢٧٦٩ وغيرهما، وهذا لفظ البخاري.

قال النووي في بيان فوائد الحديث: استحباب هجران أهل البدع والمعاصي وترك السلام عليهم ومقاطعتهم تحقيراً لهم وزجراً(١).

قال ابن حجر: قال الطبري: قصة كعب بن مالك أصل في هجران أهل المعاصي(٢).

قال ابن عبد البر: في شرحه لحديث "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث" وهذا الحديث وإن كان ظاهره العموم، فهو -عندي- مخصوص بحديث كعب بن مالك، حيث أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يهجروه ولا يكلموه هو وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع لتخلفهم عن غزوة تبوك، حتى أنزل الله عز وجل توبتهم وعذرهم، فأمر رسول صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يراجعوهم الكلام. وفي حديث كعب هذا دليل على أنه جائز أن يهجر المرء أخاه إذا بدت منه بدعة أو فاحشة يرجو أن يكون هجرانه تأديبًا له، وزجراً عنها(٣).

قال الحسن البصري ـــ رحمه الله ـــ في حديث الثلاثة الذين خلفوا: يا سبحان الله، ما أكل هؤلاء الثلاثة مالاً حرامًا، ولا سفكوا دمًا حرامًا، ولا أفسدوا في الأرض، أصابهم ما سمعتم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فيكف بمن يواقع الفواحش والكبائر؟(٤).

قال الشيخ ابن العربي المالكي: وأما إن كانت الهجرة لأمر أنكر عليه من الدين كمعصية فعلها أو بدعة اعتقدها، فيهجره حتى ينزع عن فعله وعقده، فقد أذن النبي صلى الله عليه وسلم في هجران الثلاثة الذين خلفوا خمسين ليلة حتى صحت توبتهم عند الله، فأعلمه فعاد إليهم(٥).

---

(١) ـ شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٠٠).

(٢) ـ فتح الباري (١٠/ ٤٩٧).

(٣) ـ التمهيد (٦/ ١١٧ـ١١٨).

(٤) ـ فتح الباري (٨/ ١٢٣).

(٥)ـ عارضة الأحوذي (٩/ ٨١).

وقد استخدم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم هذا الأسلوب في الردع والتأديب، فقد روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه أنه رأى رجلاً يخذف، فقال له: لا تخذف، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الخذف[١] أو كان يكره الخذف وقال: إنه لا يصاد به الصيد،ولا يُنكأ به عدو، ولكنها قد تكسر السن وتفقأ العين، ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال له:"أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الخذف، أو كره الخذف، وأنت تخذف؟ لا أكلمك كذا وكذا"، وفي رواية مسلم "لا أكلمك أبداً"[٢].

قال النووي[٣]: في هذا الحديث هجران أهل البدع والفسوق ومُنَابِذِي السنة مع العلم، وأنه يجوز هجرانهم دائمـًا؛ والنهي عن الهجران فوق ثلاثة أيام إنما هو فيمن هجر لحظ نفسه ومعايش الدنيا، وأما أهل البدع ونحوهم فهجرانهم دائمـًا، وهذا الحديث مِمَّا يؤيده، مع نظائر له كحديثِ كعب بن مالك وغيره ... انتهى.

قال ابن حجر: وفي الحديث جواز هجران من خالف، وترك كلامه[٤].

وروى الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلٌ أَهْلَهُ أَنْ يَأْتُوا الْمَسَاجِدَ، فَقَالَ ابْنٌ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ: فَإِنَّا نَمْنَعُهُنَّ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ:

(١) ــ الخذف كالضرب، رميك بحصاة أو نواة تأخذها بين سبابتيك فترمي بها، انظر القاموس المحيط (ص:١٠٣٧)، تاج العروس (٦/ ٨٠).

(٢) ـــ أخرجه البخاري. كتاب الذبائح باب الخذف والبندقة، انظره مع الفتح (٩/ ٦٠٧). ومسلم في الصيد (٣/ ١٥٤٨).

(٣) - شرح النووي (١٣/ ١٠٦).

(٤) - فتح الباري (٩/ ٦٠)

أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقُولُ هَذَا، قَالَ: فَمَا كَلَّمَهُ عَبْدُ اللهِ حَتَّى مَاتَ [١].

فهذه أدلة صريحة تدل على هجر العاصي زجراً له وتأديبًا، لعله يرتدع وينزجر عن فعله.

قلت: وهذا نوع من المراقبة الاجتماعية التي لا توجد إلا في الإســلام، فحين يرى هؤلاء العصـــاة المجتمع يتهاون بهم وينكر عليهم ما يفعلونه، فإن في ذلك أكبر عظة وعبرة لهم، ربما لأجل ذلك تحركت قلوبهم بالتوبة والرجوع إلى الله.

وفي هذا المعني أخرج البخاري في الأدب المفرد[٢] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ــ رضي الله عنهما ـ قال:" لا تسلموا على شرَّاب الخمر".

وقال مالك: لا يســلم على أهل الأهواء، قال ابن دقيق العيد: ويكون ذلك على ســبيل التأديب لهم والتبري منهم[٣].

وهذا كله بشــرط ألا تقع مفســدة في دين أو دنيا، فإن خاف المســلم مفســدة في دين أو دنيا من الهجرة والمقاطعة، فلا بأس من التعامل مع أهل المعاصي والسلام عليهم اتقاءً لشرهم.

---

(١) ــ سنده صحيح: أخرجه أحمد في مسنده (٨/ ٥٢٧ح٤٩٣٣) ، وقال الحافظ في الفتح (٢/ ٣٤٩) : في قول ابن عبد الله بن عمر: فإنا نمنعهن: وكأنه قال ذلك لما رأى من فساد بعض النساء في ذلك الوقت، وحملته على ذلك الغيرة، وَإِنَّمَا أنكر عَلَيْهِ بن عُمَرَ لِتَصْــرِيحِهِ بِمُخَالَفَةِ الْحَدِيثِ وَإِلَّا فَلَوْ قَالَ مَثَلًا إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ تَغَيَّرَ وَإِنَّ بَعْضَــهُنَّ رُبَّمَا ظَهَرَ مِنْهُ قَصْــدُ الْمَسْجِدِ وَإِضْمَارُ غَيْرِهِ لَكَانَ يَظْهَرُ أَنْ لَا يُنْكِرَ عَلَيْهِ وقال: وَأُخِذَ مِنْ إِنْكَارِ عَبْدِ اللهِ عَلَى وَلَدِهِ تَأْدِيبُ الْمُعْتَرِضِ عَلَى السُّنَنِ بِرَأْيِهِ وَعَلَى الْعَالِمِ بِهَوَاهُ وَتَأْدِيبُ الرَّجُلِ وَلَدَهُ وَإِنْ كَانَ كَبِيرًا إِذَا تَكَلَّمَ بِمَا لَا يَنْبَغِي لَهُ وَجَوَازُ التَّأْدِيبِ بِالْهِجْرَانِ في قوله: (فما كلمه عبد الله حتى مات) قال:هذا إن كان محفوظًا يحتمل أن يكون أحدهما مات عقب هذه القصة بيسير.

(٢)ـ الأدب المفرد (٢١٨ح١٠٤٩).

(٣)ـ فتح الباري (١١/ ٤٢).

المبحث السابع

أسلوب التعريض والتلميح دون التصريح

فقد كان من أسلوبه صلى الله عليه وسلم في مقاومة الانحراف ذم الخطأ والتشهير به، ولكنه صلى الله عليه وسلم لا يذم صاحبه ولا يشهر به، فلم يكن يواجه المخطئ بالخطأ أمام الناس حتى لا يؤدي ذلك إلى تجريح المخطئ، وفضيحته أمام الناس.

فكان كثيراً ما يقول صلى الله عليه وسلم " ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا" ولا يذكر أسمائهم، سترا لهم، ورفعًا للحرج والفضيحة عنهم، وإنما يذكر مراده دون التصريح بأسمائهم، فيعلمون مقصده صلى الله عليه وسلم، ويمتثلون لأمره.

وقد تتبعت هدى النبي صلى الله عليه وسلم في التوجيه والإرشاد، وتربية أصحابه ، وتصويب أخطائهم ، وتصحيح مسالكهم ، على طريقة " ما بال أقوام " فوجدت من ذلك كثيرا .

فعن أنس بن مالك قال: "إن نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه فقال: (ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني"[(١)].

قال الإمام النووى[(٢)]: هو موافق للمعروف من خطبه صلى الله عليه وسلم في مثل هذا ، أنه إذا كره شيئا فخطب له ذكر كراهيته ولا يعين فاعله ، وهذا من عظيم خلقه صلى الله عليه وسلم ؛ فإن المقصود من ذلك الشخص وجميع الحاضرين وغيرهم ممن يبلغه ذلك ولا يحصل توبيخ صاحبه في الملأ.

(١)ـ أخرجه مسلم في صحيحه كتاب النكاح باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه(٢/ ١٠٢٠ح١٤٠١).

(٢) ـ شرح النووي (٩/ ١٧٦).

وعَنْ عَائِشَـــةَ، قَـالَـتْ: جَاءَتْنِي بَرِيرَةُ فَقَالَـتْ: كَـاتَبْتُ أَهْلِي عَلَى تِسْـعِ أَوَاقٍ فِي كُـلِّ عَـامٍ، أُوقِيَّةٌ، فَأَعِينِينِي، فَقَالَتْ: إِنْ أَحَبُّوا أَنْ أَعُدَّهَا لَهُمْ وَيَكُونَ وَلاَؤُكِ لِي، فَعَلْتُ، فَذَهَبَتْ بَرِيرَةُ إِلَى أَهْلِهَا، فَقَالَتْ لَهُمْ: فَأَبَوْا عَلَيْهَا، فَجَاءَتْ مِنْ عِنْدِهِمْ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ، فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ عَرَضْتُ ذَلِكِ عَلَيْهِمْ، فَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَكُونَ الوَلاَءُ لَهُمْ، فَسَـمِعَ النَّبِيُّ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ، فَأَخْبَرَتْ عَائِشَـةُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ، فَقَالَ: "خُذِيهَا وَاشْـتَرِطِي لَهُمُ الوَلاَءَ، فَإِنَّمَا االوَلاَءُ لِمَنْ أَعْتَقَ"، فَفَعَلَتْ عَائِشَةُ ثُمَّ قَامَ رَسُـولُ اللهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ فِي النَّاسِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "مَا بَالُ رِجَالٍ يَشْـتَرِطُونَ شُـرُوطًا لَيْسَـتْ فِي كِتَابِ اللهِ مَا كَانَ مِنْ شَـرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ، فَهُوَ بَاطِلٌ وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ قَضَاءُ اللهِ أَحَقُّ وَشَرْطُ اللهِ أَوْثَقُ، وَإِنَّمَا الوَلاَءُ لِمَنْ أَعْتَقَ" (١).

وأخرج أبو داود بسـنده (٢) عن عائشـة، قالت: كان النبيَّ – صـلى الله عليه وسـلم – إذا بلغَه عن الرَّجُل الشَّيءُ لم يقُل: ما بالُ فلانٍ يقولُ؟ ولكن يقول: ما بَالُ أقوَامٍ يقولون كذا وكذا؟

وروى أحمد في مسنده(٣)عن أبي سعيد قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ:

---

(١) ـ صحيح البخاري ك: البيوع باب إذا اشترط شروطًا في البيع لا تحل (٢/ ٧٦٠ح٢٠٦٠).

(٢) – سـنده حسـن: أخرجه أبو داود في سـننه ك: الأدب باب في حسـن العشـرة (٧/ ١١٦ح٤٧٨٨) . فيه عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني: صدوق. تقريب التهذيب (١/ ٢٧٦رقم٣٧٧١) وبقية رجاله ثقات.

(٣) ـ سنده حسن: أخرجه أحمد غي مسنده (١٨/ ١٣٦ح١١٥٩١) وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٧٩ح١٢٣٣) والحاكم في المسـتدرك (٤/ ٧٤) وقال صـحيح الإسـناد، ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٥٠) وقال: رجاله رجال الصـحيح، غير عبد الله بن محمد بن عقيل، وقد وثق. قلت: فيه فيه عبد الله بن محمد بن عقيل: صـدوق، فيه لين. تقريب التهذيب (١/ ٣٢١رقم٣٥٩٢). والحديث لا يتعارض مع قوله تعالى" فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّـورِ فَلَا أَنسَـابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ " (سورة المؤمنون آية:١٠١) قال المناوي في فيض القدير (٥/ ٢٠): وهذا لا يعارضه حثه في أخبار أُخر لأهل بيته على خوف الله واتقائه، وتحذيرهم الدنيا وغرورها، وإعلامهم بأنه لا يغني عنهم من الله شـيـئًا؛ لأن معناه أنه لا يملك لهم نفعًا؛ لكن الله يملكه نفعهم بالشـفاعة العامة والخاصـة، فهو لا يملك إلا ما ملكه ربه. فقوله: لا أغني

" مَا بَالُ أَقْوَامٍ تَقُولُ: إِنَّ رَحِمَ رَسُـولِ اللهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ لَا تَنْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللهِ إِنَّ رَحِمِي لَمَوْصُولَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنِّي أَيُّهَا النَّاسُ فَرَطٌ لَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ " " .

وفى الاستفادة من طريقة النبي صلى الله عليه وسلم " ما بال أقوام " فى التربية والتوجيه تجنبا للإحراج ، كان بعضهم يستخدم الكتابة في التنبيه والتوجيه ، روى البيهقى فى شعب الإيمان[1] عن عبد الرحمن بن مطرف، قال: " كان الحسن بن حي إذا أراد أن ينصح أخا له كتب له في ألواح وناوله ".

عنكم أي بمجرد نفسـي من غير ما يكرمني الله تعالى به، أو كان قبل علمه بأنه يشـفع، ولما خفي طريق الجمع على بعضهم تأوله بأن معناه أن أمته تنسب له يوم القيامة بخلاف أمم الأنبياء.

إذن فكل نسـب ينقطع يوم القيامة للآية والأحاديث سـوى نسـب رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فإنه لا ينقطع، ولا تعارض بين الآية والحديث لأن الحديث نفسه قد دل على الجمع بينهما.

(١) ـ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ١٠٥ رقم ٧٢٣٦).

المبحث الثامن

أسلوب الردع إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن

كان هدي النبي صــلى الله عليه وســلم في ردع المخالفين المنحرفين عن منهج الله أن يأخذ بأيديهم بالرفق واللين والموعظة الحسنة، هذا هو الأصل العام في دعوته صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل، ولكن لما كانت طائفة من الناس لا يرتدعون بهذا الأسـلوب بسـبب خروجهم عن الفطرة السـليمة، في ترويع الآمنين، ونشــر الفاحشــة والفتنة في المجتمع، فإن رســولنا الأكرم صــلى الله عليه وســلم كان يستخدم أسلوب التأديب والتعنيف الشديد، وربما يصل إلى العقوبة والتأديب بإقامة الحدود المقررة في الشرع الشريف والتعزيرات الشرعية، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : **ما** ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (١).

فنرى الرسول صلى الله عليه وسلم رحيما بمن حوله لا ينتقم لنفسه، ولكن اذا انتهكت حرمات الله قام وغضب وانتقم لله.

وهو في ذلك يحقق مبدأ العدل والمســاواة بين أفراد المجتمع حتى لا يجرؤ أحد على نشــر الرزيلة والفتنة في المجتمع، قال الله تعالى " إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ " (٢).

وهو إقرار لمبدأ العدالة والمســاواة بين الناس وهذا ما أكده القرآن الكريم عندما دعا المؤمنين إلى أن يتحركوا بالعدل حتى ضـد الأقربين. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ

(١)-أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته (٤/ ١٨١٤ح٢٣٢٨).

(٢) ـ سورة النور آية : ١٩.

وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ)(١).

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٢)).

وهذا الأسلوب في ردع المخالفين لا يكون لأفراد الأمة ، وإنما يحققه ولى الأمر الذى يقوم على رعاية الأمة وتنظيم حياتهم ، وضبط أمورهم وشئونهم ، فإذا وصل إليه ارتكاب أحد أفراد الأمة بجريمة فإنه يتولى عقابهم لتحصين الأمة من شره، ولذلك فإن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم قد غضب غضباً شديداً حين يقع أحد الناس في حد من الحدود ويشفع أحد لإسقاط ذلك الحد بعد رفعه إليه صلى الله عليه وسلم ، فعن عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ الفَتْحِ، فَفَزِعَ قَوْمُهَا إِلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ يَسْتَشْفِعُونَهُ، قَالَ عُرْوَةُ : فَلَمَّا كَلَّمَهُ أُسَامَةُ فِيهَا، تَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَتُكَلِّمُنِي فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ، قَالَ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَلَمَّا كَانَ العَشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللهِ خَطِيبًا، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ: أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا " ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتِلْكَ المَرْأَةِ فَقُطِعَتْ يَدُهَا، فَحَسُنَتْ تَوْبَتُهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَتَزَوَّجَتْ قَالَتْ عَائِشَةُ: «فَكَانَتْ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣)».

وما أروع هذا المثال الذي يذكره حبيبنا صلى الله عليه وسلم حين يذكر ابنته فاطمة وهي من هي!

---

(١) ـ سورة النساء آية:١٣٥.

(٢) ـ سورة المائدة آية:٨.

(٣) ـ أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي (٥/ ١٠١ح٤٣٠٤).

صاحبة الفضل والمكانة عند سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع هذا يقول: لو سرقت ـ وحاشاها أن تسرق ـ لقطعت يدها.

وليس بعد هذا الإفصاح إيضاح في بيان أنه لا مجاملة ولا محاباة في الحقوق والعقوبات والشأن العام، وبهذا تسعد الأمة، وتنهض بين الأمم.

وذلك أن يكون للأمة رادع وقوة ويد تأخذ على يد كل فاسد، مهما كانت مكانته، وأيا كان موقعه.

وصدق سيدنا عثمان بن عفان حين قال: إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن [(١)].

قال ابن رشد في البيان والتحصيل [(٢)]: قال مالك: بلغني أن عثمان بن عفان قال: ما يزع الإمام الناس أكثر مما يزعهم القرآن ، قال : يزعهم يكفهم .

وهذا يدل على أن للإمام قوة في ردع المخالفين والمنحرفين عن منهج الله عز وجل.

قال الإمام القرطبي عند تفسير قول الله تعالى (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ)[(٣)]: في الآية دليل على اتخاذ الإمام والحكام وزعة يكفون الناس ويمنعونهم من تطاول بعضهم على بعض ; إذ لا يمكن للحكام ذلك بأنفسهم . وقال ابن عون: سمعت الحسن يقول وهو في مجلس قضائه لما رأى ما يصنع الناس قال: والله ما يصلح هؤلاء الناس إلا وزعة. وقال الحسن أيضا: لا بد للناس من وازع ; أي من سلطان يكفهم. وذكر ابن القاسم قال: حدثنا مالك أن عثمان بن عفان كان يقول: ما يزع الإمام أكثر مما يزع القرآن ; أي من الناس. قال ابن القاسم : قلت لمالك ما يزع ؟

(١) – أخرجه ابن أبى شيبه في تاريخ المدينة (٢ رقم ١٧٠٤) وإسناده الى رجال ثقات ، وهو منقطع ، يحيى لم يدرك عثمان .

(٢) ـ البيان والتحصيل (١٧/ ٥٩) .

(٣) ـ سورة النمل آية :١٧.

قال : يكف [١].

قال ابن العربي في أحكام القرآن [٢] : إنَّ اللهَ سُـبْحَانَهُ خَلَقَ الْخَلْقَ فِي الْجِبِلَّةِ أَخْيَافًا يَتَقَاطَعُونَ تَدَابُرًا وَاخْتِلَافًا، وَيَتَنَافَسُـونَ فِي لَفِّ الْحُطَامِ إسْـرَافًا، لَا يَبْتَغُونَ فِيهِ إنْصَـافًا، وَلَا يَأْتَمِرُونَ فِيهِ بِرُشْـدٍ اعْتِرَافًا، فَأَمَرَهُمْ اللهُ سُـبْحَانَهُ بِالْخِلَافَةِ، وَجَعَلَ فِيهِمْ الْمَمْلَكَةَ، وَصَـرَفَ أُمُورَهُمْ إلَى تَدْبِيرِ وَاحِدٍ يَزَعُهُمْ عَنْ التَّنَازُعِ، وَيَحْمِلُهُمْ عَلَى التَّأَلُّفِ مِنْ التَّقَاطُعِ، وَيَرْدَعُ الظَّالِمَ عَنْ الْمَظْلُومِ، وَيُقَرِّرُ كُلَّ يَدٍ عَلَى مَا تَسْـتَوْلِي عَلَيْهِ حَقًّا، وَيَسُوسُهُمْ فِي أَحْوَالِهِمْ لُطْفًا وَرِفْقًا، وَأَوْقَعَ فِي قُلُوبِهِمْ صِدْقَ ذَلِكَ وَصَوَابَهُ، وَأَرَاهُمْ بِالْمُعَايَنَةِ وَالتَّجْرِبَةِ صَلَاحَ ذَلِكَ فِي ابْتِدَاءِ الْأَمْرِ وَمَآلِهِ، وَلَقَدْ يَزَعُ اللهُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالقرآن، فَالرِّيَاسَةُ لِلسِّيَاسَةِ وَالْمُلْكُ لِنَفْيِ الْمُلْكِ، وَجَوْرُ السُّلْطَانِ عَامًا وَاحِدًا أَقَلُّ إذَايَةً مِنْ كَوْنِ النَّاسِ فَوْضَى لَحْظَةً وَاحِدَةً، فَأَنْشَأَ اللهُ الْخَلِيقَةَ لِهَذِهِ الْفَائِدَةِ وَالْمَصْـلَحَةِ عَلَى الْمُلُوكِ وَالْخُلَفَاءِ، كُلَّمَا بَانَ خَلِيفَةٌ خَلَفَهُ آخَرُ، وَكُلَّمَا هَلَكَ مَلِكٌ مَلَكَ بَعْدَهُ غَيْرُهُ؛ لِيَسْتَتِبَّ بِهِ التَّدْبِيرُ، وَتَجْرِيَ عَلَى مُقْتَضَى رَأْيِهِ الْأُمُورُ، وَيَكُفَّ اللهُ سُبْحَانَهُ بِهِ عَادِيَةَ الْجُمْهُورِ....الخ.

وقال المهلب ابن أبى صـفرة لبنيه: إذا وليتم فلينوا للمحسـن، واشـتدوا على المريب، فإن الناس للسلطان أهيب منهم للقرآن [٣].

وهذا يؤكد أهمية إقامة العقوبات على المخالفين والمنحرفين الذين ينشـرون الفتنة والمعصـية في المجتمع، وذلك لضبط سلوك العوام، فإن كثيرا من المنافقين والفجار ينزجر بما يشاهده من العقوبات وينضبط عن انتهاك المحرمات، وهذا بعض فوائد العقوبات السلطانية المشروعة.

(١) ـ تفسير القرطبي (٤/ ٤٠١)

(٢) ـ أحكام القرآن (٢/ ٢٠٨)

(٣) ـ الكامل في اللغة والأدب (١/ ٢٠١٤)

قال الشاطبي في الاعتصام [١] : لان الإعذار والإنذار الأخروي قد لا يقوم له كثير من النفوس ، بخلاف الدنيوي ، ولأجل ذلك شرعت الحدود والزواجر في الشرع ، وان الله يزع بالسلطان ما لا يزعه القرآن ، فالمبتدع اذا لم ينتهض لإجابة دعوته بمجرد الأعذار والإنذار الذى يعظ به ، حاول الانتهاض بأولى الأمر ليكون ذلك أحرى بالإجابة .

وليس معني هذا الكلام أن قدرة السلطان تردع الناس أكثر مما تردعهم حدود الله كما يظن البعض.

قال القاضـــي أبو بكر بن العربي: وقد جهل قوم المراد بهذا الكلام، فظنوا أن المعنى فيه أن قدرة الســـلطان تردع الناس أكثر مما تردعهم حدود القرآن وهذا جهل بالله وحكمته. قال: فإن الله ما وضـــع الحدود إلا مصلحة عامة كافة قائمة لقوام الخلق، لا زيادة عليها، ولا نقصان معها، ولا يصلح سواها، ولكن الظلمة خاسوا بها، وقصروا عنها، وأتوا ما أتوا بغير نية، ولم يقصدوا وجه الله في القضاء بها، فلم يرتدع الخلق بها، ولو حكموا بالعدل، وأخلصوا النية، لاستقامت الأمور، وصلح الجمهور .[٢].

ومما ســبق يتبين لنا أهمية تطبيق مبدأ العقوبة كجزاء رادع لأولئك الذين يعتدون على حرمات الله، ويعتدون على جماعة المســـلمين من ســـلب أموالهم، وســـفك دمائهم، والخوض في أعراض الأمة، ويسعون في الأرض فسادا، مستخفين بمشاعر المجتمع، حين يجاهرون بفسقهم وانحرافهم.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كل أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلاَنُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ [٣].

---

(١) ـ الاعتصام (١/ ٢٩٣)

(٢) ـ أحكام القرآن لابن العربي (٣:٤٧٤)

(٣) ـ أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب ستر المؤمن على نفسه (٨/ ٢٠ح٦٠٦٩).

ومن فوائد إقامة العقوبات على المخالفين والمنحرفين عن منهج الله عز وجل أن يستتب الأمن، ويأمن الناس على دينهم وأنفسهم وعقولهم وأعراضهم وعلى أموالهم، وهذه نعمة عظيمة يجب رعايتها، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الخَطْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا. "(١).

فحين يأمن الإنسان في بيته على نفسه وأهله وأولاده وعلى من يعول، هذه من أوفر وأعظم النعم في الدنيا، وإنما يتحقق ذلك حين يعلم المجرمون والفجار أنهم سيعاقبون على جرائمهم ومعاصيهم.

ورحم الله ابن المبارك إذ يقول(٢):

إنَّ الجَمَاعَةَ حَبْلُ اللهِ فَاعْتَصِمُوا ... مِنْهُ بِعُرْوَتِهِ الْوُثْقَى لِمَنْ دَانَى
كَمْ يَرْفَع اللهُ بِالسُّلْطَانِ مَظْلَمَةً ... فِي دِينِنَا رَحْمَةً مِنْهُ وَدُنْيَانَا
لَوْلاَ الْخِلاَفَةُ لَمْ تَأْمَنْ لَنَا سُبُلٌ ... وَكَانَ أَضْعَفُنَا نَهْبًا لأَقْوَانَا

نسأل الله أن يحفظ أمتنا وبلادنا من كل سوء ومكروه.

(١) ـ سنده حسن: أخرجه الترمذي في سننه كتاب الزهد (٥/ ٥٧٤ح٢٣٤٦) قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ مَرْوَانَ بْنِ مُعَاوِيَةَ. وَحِيزَتْ: جُمِعَتْ " حَدَّثَنَا بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، نَحْوَهُ وَفِي البَاب عَنْ أَبِي الدرداء.

(٢) ـ ذكره ابن عبد البر في التمهيد (٢١/ ٢٧٥).

الخاتمة

الحمد لله بدءً وختمـًا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصفـًا وذاتـًا واسمـًا، ورضي الله عن صحابته وأزواجه أمهات المؤمنين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد ،،،،،،،،،

فإني قد حاولت في هذه الدراســة المتواضــعة أن أبرز أهم الوســائل والأســاليب التربية في مقاومة الانحرافات ومعالجتها، وكان من أرز هذه الأساليب: القدوة، والحوار والإقناع، والترغيب والترهيب، والتعليم، والحكمة والرفق، والإعراض والهجر، والردع، وغيرها.

وفي ختام هذا البحث فإنني أؤكد على ضــرورة حاجة المربين في المؤســســات التربوية المتنوعة إلى معرفة هذه الأسـاليب في مقاومة الانحرافات والاسـتفادة منها، وبخاصـة في واقعنا المعاصـر الذي يعج بكثير من الانحرافات.

وتأسيسـًا على ما سبق يمكن تلخيص وتحديد نتائج البحث فيما يلي:

١. إن الســنة النبوية المطهرة هي المنهج القويم، والأســلوب الأمثل في التربية على القيم والمبادئ الإسلامية.

٢. إن القدوة الحســنة هي الوســيلة التربوية الناجحة في تنمية القيم الإيمانية، وهي من أعظم المؤثرة في بناء النفس البشرية.

٣. يعتبر أسـلوب الحوار والإقناع العقلي من أعظم الأسـاليب التربوية مع شـبابنا، وبخاصـة في واقعنا المعاصر.

٤. يعتبر أســلوب الترغيـب والترهيـب منهج تربوي مفيـد لتقويم النفس البشــريـة، وردهـا الطريق الصحيح.

٥. ضرورة التنويع في الأساليب التربوية في مقاومة الانحرافات.

٦. كلما كان الانحراف يتعدى ضرره إلى المجتمع كان علاجه أدعى إلى المبادرة والحزم.

ونسأل الله القبول،،

فهرس المصادر والمراجع

- أحكام القرآن لابن العربي - دار الكتب العلمية - بيروت
- الأدب المفرد للبخاري الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت
- الإصابة في تميز الصحابة لابن حجر الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت
- الاعتصام للشاطبي دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية
- البدر المنير لابن الملقن - دار الهجرة للنشر والتوزيع الرياض السعودية
- البيان والتحصيل لابن رشد - دار الغرب الإسلامي بيروت
- تاج العروس الناشر: دار الهداية .
- تحفة الأحوذي للمباركفوري.دار الكتب العلمية/ لبنان - بيروت.
- تفسير الألوس (روح المعاني) دار الكتب العلمية - بيروت.
- تفسير ابن كثير. دار طيبة للنشر والتوزيع.
- تقريب التهذيب لابن حجر. مؤسسة الرسالة.
- التمهيد لابن عبد البر الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.
- الجامع لأحكام القرآن. دار عالم الكتب. الرياض. المملكة العربية السعودية.
- حلية الأولياء لأبي نعيم. دار الكتاب العربي. بيروت.
- دلائل النبوة للبيهقي. دار الكتب العلمية/ بيروت.
- ديوان الضعفاء لشمس الدين الذهبي مكتبة النهضة الحديثة.
- زاد المعاد لابن القيم. مكتبة الرسالة/ بيروت.

- سنن أبي داود.دار الحديث القاهرة.
- سنن ابن ماجة. دار إحياء الكتب العربي.
- سنن الترمذي. دار الكتب العلمية/ بيروت.
- سنن الدارمى.دار الكتب العلمية/ بيروت.
- سنن النسائي. دار الجيل / بيروت
- شرح السنة للبغوى. المكتب الإسلامي.
- شرح النووي على مسلم. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- شعب الإيمان للبيهقي الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض. موقع يعسوب.
- صحيح ابن حبان. دار الكتب العلمية / بيروت.
- صحيح ابن خزيمة. المكتب الإسلامي. بيروت.
- صحيح البخاري. دار ابن كثير ـ اليمامة- بيروت.
- صحيح مسلم. دار ابن كثير. اليمامة. بيروت.
- الصلاة وأحكام تاركها لابن القيم الجوزية الناشر: مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة
- طبقات ابن سعد. دار صادر. بيروت.
- عون المعبود شرح سنن أبى داود. دار الكتب العلمية/ بيروت.
- فتح الباري لابن حجر. دار المعرفة ـ بيروت.
- فتح الباري لابن رجب. دار ابن الجوزي/ السعودية ـ الدمام.

- فيض القدير للمناوي. دار الكتب العلمية/ بيروت.
- الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري. دار المعرفة/ لبنان.
- الفصول في الأصول للجصاص وزارة الأوقاف الكويتية
- الكامل في اللغة والأدب تأليف محمد بن يزيد المبرد دار الفكر العربي
- الكوثر الجاري إلي رياض صحيح البخاري: أحمد بن إسماعيل بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي ٨٩٣ هـ دار إحياء التراث العربي
- مجمع الزوائد للهيثمي. دار الكتاب العربي/ بيروت.
- مدارج السالكين لابن القيم الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت
- مستدرك الحاكم. دار المعرفة/ بيروت.
- مسند أبو يعلي الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق
- مسند الإمام أحمد. مؤسسة قرطبة.
- مصنف ابن أبي شيبة. طبعة الدار السلفية الهندية.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح دار الفكر / بيروت.
- معجم البلدان للحموي.دار الفكر/ بيروت.
- مكارم الأخلاق للخرائطي الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة
- موطأ مالك. دار التراث العربي / بيروت.
- المعجم الكبير للطبراني. مكتبة الرشد/ الرياض.
- النفقة على العيال لابن أبي الدنيا دار ابن القيم ـ السعودية
- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير. المكتبة العلمية / بيروت.

المحتويات